دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دور المخططات العامة لمدينة بنغازي في استيعاب الموروث العمراني
المصدر:	مجلة الباحث
الناشر:	جامعة سرت - كلية التربية ودان الجفرة
المؤلف الرئيسي:	العاني، محمد جاسم
المجلد/العدد:	ع5,6
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الصفحات:	367 - 394
رقم MD:	814916
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	بنغازي، ليبيا، التراث المعماري، تخطيط المدن، المدن الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/814916

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دور المخططات العامة لمدينة بنغازي في استيعاب الموروث العمراني

الدكتور. محمد جاسم العاني
كلية الآداب - جامعة قاريونس

المقدمة :

معلوم أن التصاميم الأساسية للمدن (المخططات العامة للمدن) توضع للسيطرة على أو توجيه نمو المستوطنة الحضرية بطريقة تستوعب طبيعة التغير الاجتماعي والاقتصادي والحضاري بما فيه التكنولوجي الحادث والمتوقع حدوثه في المستوطنة الحضرية ؛ لتحقيق نوعاً من التعايش السليم بين مجتمع المستوطنة وواقع كل فترة من فترات التصميم الأساسي ، ولذلك يُعد التصميم الأساسي للمدينة إطار عمل يتفاعل مع وحدتي الزمان والمكان اللذين تعيشهما المستوطنة بكافة متغيراتها التي يعملها مجتمع المستوطنة الحضرية ، ومن هنا لابد من وضع مواصفات يتم من خلالها الحكم على قدرة التصميم الأساسي في أداء مهامه تجاه المستوطنة لجعلها بيئة قادرة على تحقيق ذلك التعايش السليم بينها ومجتمعها الذي يمكن تلمسه من خلال نجاح المستوطنة الحضرية في تأدية وتطوير وظائفها وخدماتها إلى المستوى المطلوب من الكفاءة .

ولعل أبرز المواصفات التي يجب أن توفرها في التصميم الأساسي الذي يُراد له تجاوز الحد الأدنى من النجاح هي (قدرة التصميم الأساسي للمدينة على استيعاب الموروث من الأنماط المعمارية القائمة عبر مراحل التطور المورفولجي للمدينة وإمكانية مزاوجة هذا الموروث مع التطور العمراني والاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي الذي يستهدفه المخطط) ، هذا إضافة إلى المواصفات الأخرى كالشمولية وقوة التصميم الأساسي المستمدة من قانونيته وتدعيمه المادي والبشري ، وضمان إشراك المواطنين بكافة عمليات إعداده وتنفيذه وهذا بدوره يضيف مؤشرات أخرى لمواصفات التصميم الأساسي الناجح المتمثلة بالمرونة (المطاطية) من أجل التعامل مع فعاليات التخطيط الحضري المطلوبة لإتمام مهمة الاستيعاب كالتجديد الحضري *Urban Renewal* عبر مختلف سياساته من

حفاظ *Conservation* ، أو إعادة تأهيل *Rehabilitation* أو إعادة تطوير *Redevelopment* من أجل إتمام عملية استيعاب الموروث المعماري لتلك الأشكال التي كانت تؤدي وظائف معينة تتلاءم ومرحلة نمو المدينة وهذا ما أكسب المدينة مراحل متميزة من التطور المورفولوجي .

هدف البحث :

في هذا البحث نسعى إلى الكشف عن قدرة التصميم الأساسي (المخطط الشامل) لمدينة بنغازي ، والتصاميم القطاعية والتفصيلية في استيعاب موروثها الحضاري المعماري والتخطيطي ، الذي يمتد إلى أكثر من قرن ، من خلال ما أفرزته المراحل المورفولوجية لتطور تلك المدينة ، وصولاً إلى مرحلة إعداد ذلك التصميم الذي يفترض أنه استطاع ضم واستيعاب ذلك المكنون الحضاري للهياكل العمرانية الوظيفية والتخطيطية المُعبرة عن متطلبات المدينة الاجتماعية والاقتصادية عبر مراحلها الزمانية في تلك المدينة التي صارت اليوم من كبرى مدن ليبيا بشكل خاص ، والمدن العربية الإسلامية بشكل عام ، ومع هذا الهدف الذي يسعى إليه البحث سوف يقدم البحث أيضاً الطرق التخطيطية لكيفية تحديد الموروث التخطيطي والمعماري عبر تشخيص المراحل المورفولوجية للمدينة التي يمكن تمييزها من خلال درجة تاريخية ، تلك المدينة وبنيتها الوظيفية ، وهذا ما يدفع إلى وجوب تحديد مكونات لهذا البحث تسهل تحقيق أهدافه .

مكونات البحث :

من أجل أن يصل البحث إلى تحقيق هدفه في الكشف عن الموروث المعماري لمدينة بنغازي ومدى قدرة التصميم الأساسي لها في ضم ذلك المورث ارتأينا أن يشمل البحث المكونات التالية :

أولاً : إعطاء مقدمة عن نشأة المدن وتمايزها .
ثانياً : التركيب الداخلي للمدن العربية الإسلامية وموقع الموروث المعماري فيها .
ثالثاً : تحديد المراحل المرفولوجية لنمو المدن العربية الإسلامية .
رابعاً : مقدمة عن مدينة بنغازي ، نشأتها ، ونموها الحضري .
خامساً : المراحل المرفولوجية لمدينة بنغازي ، وتحديد الموروث المعماري فيها.
سادساً : إظهار أهمية ودور المخطط العام لمدينة بنغازي في الحفاظ على الموروث المعماري

سابعاً : سياسات المخطط العام لمدينة بنغازي في الحفاظ على الموروث المعماري .

ثامناً : الاستنتاجات والتوصيات

مقدمة ـ في نشأة المدن وتمايزها :

لقد أصبح معلوماً أن المدن لا تظهر بصورة مفاجئة وسريعة ، بل تمر بمراحل معينة في عملية نشأتها* التي تتأثر إلى حد بعيد بالعناصر الطبيعية للإقليم الذي تقع فيه من حيث وظائفها وحجوم سكانها وعلاقاتها الخارجية مع المناطق التي تحيط بها ، ولكي تبقى هذه المدن في الوجود لابّد أن تحتل موقعاً تحيط به مناطق للزراعة والرعي ، وتتوفر فيه مواد البناء ، وباقي المواد الضرورية التي تكفي لسد حاجة السكان المقيمين في تلك المناطق ، ويفيض ليصل إلى سكان المدن التي تتولى إنتاج السلع والخدمات لصالح السكان ، فيما يذهب الباقي إلى سكان المناطق المحيطة بها، لذلك صارت للمدن وظائف محليّة تتمثل بتقديم السلع والخدمات لسكانها مباشرة ، ووظائف إقليمية توجّه إلى خدمة سكان الريف المحيط بها، وهذا ما دفع للاعتقاد بأن الأساس في نشوء المدينة أنها لا تظهر من نفسها بل يقيمها ظهيرها لتقوم بأعمال مركزية لصالحة ، أي أن الأصل في وظيفة المدينة هو الجانب الإقليمي Regional component ، لذلك نجد أن أغلب سكان المدن القديمة (التي تطور وجودها عن القرى الزراعية الناضجة) لم ينفصلوا عن الأرض ، بل كانوا زرّاعاً إلى جانب طبقات كبيرة من المتخصصين بالأعمال والحرف الأخرى – كالقادة والكهنة ورجال الحرف الصناعية الذين مع بدء الاختراعات والاكتشافات في العصر المعدني وإمكانية الحصول على المعادن كالنحاس والأحجار والأخشاب عن طريق التجارة ساهموا في زيادة التخصص في العمل ليزداد بذلك نشاط المراكز الحضرية وتنوعها إلى الحدّ الذي أشاع نوعاً من التمايز بين مدن الحضارات الأولى عندما عمدت مراكزها الحضرية للتعبير عن ذاتها سواء (فعلياً) من خلال بنيتها الوظيفية المعبرة عن تركيبها الوظيفي أو اختلافاً (رمزياً) من خلال المباني ، والنصب التذكارية المميزة لها .

ففي الوقت الذي تميزت المدن السومرية الأولى كأور – والوركاء – وأريدو – (بنيتها الوظيفية) التي جعلت وظيفة العبادة في المنطقة الدينية المقدسة وسط المدينة التي يحيط بها النسيج العمراني المتضمن مختلف استعمالات الأرض

* كان هذا قبل الثورة الصناعية ونشوء المدن الصناعية الحديثة .

الحضرية من سكن وطرق ومحلات تجارية ومخازن وانتهاءً بالسور الذي صار يحيط المدينة ليقوم بوظيفته الأمنية وعزل المدينة عن ظهيرها الزراعي ناهيك عن موقع الميناء (kar) الذي صار يشكل إطلالة المدينة على البحر ومكاناً لممارسة الوظيفة التجارية وصناعة السفن فيما ميزت مدن تلك الحضارة نفسها (رمزياً) ببناء الزقورات المصحوبة بالمعابد ومخازن الحبوب التي كانت تجلب من الظهير الزراعي لسد حاجة السكان[1].

بينما ميزت مدن الحضارة الفرعونية نفسها بالأهرامات ومقابر الملوك - ولم تُظهر بنيتها الوظيفية السور من الخارج- أو المنطقة المقدسة من الداخل – فالمعابد والقصور الملكية التي تشغل مساحة كبيرة من المدينة ذات الشكل المربع أو المستطيل لم تتركز جميعها في مكان واحد ، وإنما أخذت أماكنها في أجزاء مبعثرة من المدينة ، وربما اختفى الميناء منها رغم أن المدينة بُنيت على جانب النهر أو البحر ، وعلى الجانب الأخر نجد حضارة وادي السند التي تميزت وظيفياً بتأثرها بمدن الحضارة السومرية ، ولكنها رمزياً ميزت نفسها بالقلاع الكبيرة فيما ميزت مدن حضارة المايا نفسها بالأهرامات المتدرجة.

بل إن مدن الحضارة الواحدة صار لكلٍ منها مركزاً حضارياً يؤدي وظيفة رئيسية معينة ؛ ففي الوقت الذي صارت فيه مدينة أور مركزاً سياسياً بحكم الوظائف الإدارية التي تؤديها كانت مدينة أريدو مركزاً دينياً أما مدينة أوروك فكانت مركزاً تجارياً إضافة إلى وظائفها الدينية والرسمية.

ومن هنا بدأ التمايز في سكان مدن الحضارات ففي الوقت الذي بلغ سكان المدن السومرية بين 17- 20 ألف نسمة بحكم التخصص الوظيفي نجد أن مدن الحضارة السندية ، ومثلها الفرعونية وصل إلى أكثر من 20 ألف نسمة بحكم تعدد وظائفها، حيث إن وظائف وتخصصات تلك المدن لم تظهر دفعة واحدة بل مرّت بمراحل تطوريه لذلك اختلفت بنية تلك المدن وأحجامها السكانية خلال مراحل معينة تبعاً لاختلاف نشاطاتها ووظائفها ، وهذا ما يُعرف اليوم باسم (التطور المر فولوجي للمدن)، وبطبيعة الحال فإن انتقال المدن من مرحلة معينة ذات مواصفات وظيفية معينة تعبر عنها البنية الوظيفية للمدينة (مرحلة مرفولوجية مميزة يصورها شكل المدينة الخارجي) إلى مرحلة أخرى ذات شكل مرفولوجي مميز دون أن تغيب المعالم المرفولوجية السابقة ، بل يضاف أو ينقص منها بعض

(1) العاني ، محمد جاسم " أصالة المدينة " إصدار دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا 2004 م, ص21 .

الشيء بحيث تبقى المعالم السابقة لتعبر عن وظائفها المحلية والإقليمية آنذاك، فتظهر المراحل المرفولوجية المميزة لكل فترة ويظهر عبرها نمطاً من الأبنية بوصفها أحد العناصر المرفولوجية الثلاث (الخطط ـ استعمالات الأرض- الأبنية) يظلّ يقدّم بعض الوظائف الموكلة إليه أو يجري تغييرها بحكم سياسات التجديد الحضري كالتطوير وإعادة التأهيل، مثل هذه الأبنية ووظائفها نسميّها (بالموروث الحضاري) الذي غالباً ما يتركز في قلب المدن ليشكل مركزها التقليدي وخاصة في العالم العربي والإسلامي فتسمى مناطقها (بالمدينة القديمة) ، والتي تسعى التصاميم الأساسية لتلك المدن إلى ضمّها والحفاظ عليها ضمن مناطق استعمالاتها حيث غدى وجودها يُشكل أسمى ، وأهم مقومات النجاح لتلك التصاميم .

ومدينة بنغازي كأحد المدن العربية الإسلامية ذات البعد التاريخي المديد لا بد أن تكون قد شهدت العديد من المراحل المرفولوجية منذ نشأتها وحتى إعداد آخر مخططاً لها الذي يضم مرحلة ما بعد عام *2000* " لذلك نحاول تقصّي ذلك (الإرث المعماري) ، الذي كان يؤدي وظائف رئيسية محلية وإقليمية للمدينة معتمدين على الأسس العلمية لتحديد الموروث المعماري والتخطيطي في المدن العربية والإسلامية بشكل خاص ، واعتماداً على الوصف العام للتركيب الداخلي لتلك المدن ، ومن ثم تحديد ماهية الفعاليات التي حافظت وأبقت على الموروث ضمن هذه المدينة .

التركيب الداخلي للمدن العربية الإسلامية – وموقع الموروث المعماري فيها :

إن أية محاولة للقراءة أو مقارنة التركيب للمدن العربية الإسلامية سوف يفضي إلى حقيقة واحدة ، مفادها أن معظم المدن العربية على اختلاف مراحل التاريخ خضعت لعوامل واحدة جعلت من خصائصها العمرانية واستعمالات الأرض فيها ذات نمط متشابه إضافة إلى اتصافها بتوجه تخطيطي موحد ، لذلك لا نكاد نجد تلك الفوارق الكبيرة بين التركيب الداخلي لمدينة بغداد عن التركيب الداخلي لمدينة طرابلس أو بنغازي وحتى القاهرة ودمشق ، وأن أهم العوامل التي قاربت بين حقائق تلك المدن التركيبية هي [العوامل الطبيعية والاجتماعية – والدينية – والاقتصادية][1] .

(1) المؤتمر الأول لمنظمة المدن العربية " مقومات تخطيط المدينة العربية – المعايير والقيم الأساسية اللازمة لها " تونس , 1979م , ص32 .

فبالنسبة للعوامل الطبيعية والتي يبرز دورها جلياً في الجزء الغربي من الوطن العربي (الذي تقع فيه مدينة بنغازي) يتميز بظروف مناخية شديدة الحرارة وندرة الأمطار وشيوع ظاهرة الكثبان الرملية ، وهذا ما أثر على طريقة بناء الدور متجمعة ومتلاصقة تفصلها أزقة ضيقة وملتوية وبعضها مغلق وغير سالك.

أما العوامل الاجتماعية والدينية فقد تركت بصماتها بشكل جلي على التوجهات العمرانية واستعمالات الأرض في المدن العربية الإسلامية التي صار المسجد فيها يحتل المحور الذي تقوم حوله مختلف الهياكل المعمارية للمدينة حيث الأسواق التي كانت تقوم بالإنتاج والعرض ، وكانت المباني الرسمية التي تتمثل بدار الخليفة أو الوالي تقع على أحد الجوانب الممتدة من الجامع ، ثم الأحياء السكنية التي كانت تتوزع حول الإمتدادات من الجامع ، والتي كان يسكن كل منها انتماء قبلي معين على الأغلب ، أما من الناحية الاقتصادية فقد تجسد الدور الإقليمي لكل مدينة لتقوم بوظائفها الإقليمية بشكل رئيسي ؛ حيث أصبحت المدينة العربية الإسلامية مركزاً تجارياً للتبادل بين سكان القرى التي تحيط بها من خلال ما يقدمونه من المنتجات الزراعية والحيوانية مقابل حصولهم على الخدمات والسلع التي تكمل حياتهم المعتادة .

أما الدور الثقافي للمدن العربية الإسلامية فقد ظهر من خلال المكتبات العامة الملاصقة للجوامع والمدارس الدينية ودور الحكمة ، التي غالباً ما نجد أماكنها قرب المساجد الكبيرة ، كما كانت المدرسة القادرية في بغداد والمكتبة العامة عند الجامع الأموي ... الخ .

إن الهياكل العمرانية لهذه المدن التي تأثرت بشكل رئيسي بالعوامل الطبيعية والاجتماعية والدينية والاقتصادية نجد بعضها لا زالت قائمة في الأحياء القديمة من هذه المدن والتي يطلق عليها اليوم "بالموروث العمراني " وأن ضآلة نسبة ما تشغله هذه الهياكل سواء على مستوى الأحياء القديمة نفسها أو على مستوى الرقعة المبنية للمدينة يعود إلى ما تعرضت له الدول العربية من موجات الغزو والاستعمار الأجنبي الذي ترك بصمات واضحة على التوجهات العمرانية واستعمالات الأرض في مدننا العربية ، ونكاد نلمس ذلك جلياً في بعض المباني المنتشرة هنا وهناك في الأحياء القديمة التي صارت تحمل خصائص العمارة الغربية ، هذا بالإضافة إلى النمو الحضري السريع للمدن العربية بفعل التقدم التكنولوجي وزيادة فرص العمل الذي سارع في هجرة المزيد من سكان الريف إلى تلك المدن ليجعل رقعتها المبنية متسعة وهذا بدوره يتطلب وضع خطط جديدة

لتنظيم استعمالات الأرض الحضرية فيها تختلف نسبياً بين مدن الإقليم العربي نفسها وبين ماضي وحاضر تلك المدن ، مما جعل الخصائص التركيبية لها متباينة نسبياً ، وتنتمي إلى نظريات معينة في تركيبها الداخلي ناهيك عن دور الاستثمار الصناعي والنفطي في أغلب دول العالم العربي الذي خلق لمدنه خصائص تتوافق وطبيعة ذلك الاستثمار الذي دفع بدوره إلى محاكاة الأسس العصرية والصحيحة لتخطيط المدن ، مما جعل لتلك المدن خصائص متميزة سواء على مستوى الخصائص الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية لها أو على مستوى المراحل المرفولوجية التي اعتمدت على تلك الظروف وحجم السكان والنشاط الاقتصادي القائم فيها ومستوى علاقاتها الإقليمية التي صارت ترسم للمدينة شكلاً يميزها عن غيرها أو يميز نموها عبر المراحل المرفولوجية ، وبخلاف ذلك فإن أية محاولة للمقارنة بين التركيب الداخلي للمدن العربية الإسلامية لفترات ما قبل الغزو الاستعماري سوف تجعل التقارب قائماً أبداً في بنيتها الوظيفية التي تتجلى في مراكزها القديمة (التي تشغلها اليوم مباني الموروث المعماري القديم) التي يسودها التوجهات العمرانية ، واستعمالات الأرض الموحدة ، التي فرضتها طبيعة العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، التي سادت عالمنا العربي الموحد منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوط بغداد عام *1258*م ولكن دون أن يندثر ذلك الإرث الخالد الذي يمثل أصالة التوجهات العربية الإسلامية الموحدة ، ومن هنا فإن محاولة تحديد ذلك الإرث المعماري في مدينة بنغازي كمدينة عربية إسلامية يجعل من الأمر سهلاً نسبياً في ظل وجود الأسس العلمية لتحديد المراحل المرفولوجية لتلك المدن .

تحديد المراحل المرفولوجية لنمو المدن العربية الإسلامية :

بناءً على الخصائص البنيوية للمدن العربية الإسلامية التي أرست توجهاتها العوامل الطبيعة الاقتصادية والاجتماعية والدينية لإقليم الوطن العربي يمكن ملاحظة ثلاث مراحل مرفولوجية أساسية لنمو تلك المدن ، والتي يمكن زيادتها حسب البعد التاريخي لكل مدينة وتطور بنيتها الوظيفية على أن تميّز هذه المراحل يعتمد على متغير بنيوي واحد هو " الوظيفة السكنية وأنماطها حيث[1] .....

المرحلة المرفولوجية الأولى :

(1) الأشعب , خالص حسني " مرفولوجية المدينة " إصدار جامعة بغداد – كلية الآداب 1983م , ص17 .

في هذه المرحلة تتميز المدينة بتماسك أجزائها وبكثافة كتلها المعمارية المتقاربة ، وصغر المدينة نسبياً ؛ حيث تبدو مؤلفة من وحدات جيرة (حارات أو محلات سكنية) يسودها نظام مرتبي مميز لمختلف الوظائف ، وبالتالي الفضاءات المبنية وغير المبنية بمافيها أنظمة الشوارع ابتداء من الوظيفة السكنية التي تؤديها البيوت المتلاصقة الممتدة على جانبي الزقاق الضيّق الذي غالباً ما يكون ملتوياً وطويلاً نسبياً ، تلك البيوت التي تكون أبوابها متقابلة وسطوحها متقاربة من الأمام ومتلاصقة من الجوانب وكثيراً ما تكون شرفات الغرف العليا متوا جهة إذ أن التصميم الموحدة لهذه البيوت يخلق ذلك التقابل في فضاءاتها حيث أن كل بيت مؤلف من الفناء الداخلي الذي تصطفّ على جوانبه الغرف التي تنتهي بمدخل يؤدي إلى الممر الأمامي (المجاز) المحصور بين الغرفتين الأماميتين والذي يفضي إلى الباب الخارجي للمنزل ؛ حيث كان لهذه التقابلات السكنية الأثر الكبير في الألفة والتماسك الاجتماعي إلى درجة بدأت فيها المدينة وكأنها إقليم حضاري واحد (cultural region) يحتل الجامع والقلعة والسوق المنطقة المركزية فيه ، وعلى ضوءها تحددّ أنماط التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض .

المرحلة المرفولوجية الثانية :

لا تكاد تبتعد تشكيلة المدينة في هذه المرحلة عما كانت عليه في المرحلة الأولى ؛ حيث ظلت أنماط استعمالات الأرض تؤدي وظائفها المعهودة ، مع حدوث نمو حضاري يحمل معه مقومات جديدة أملتها اتصالات العرب بالحضارة الغربية جراء الاستعمار والغزو الأجنبي لتدخل مميزات جديدة مع حدوث بعض التغيرات على وظائف المرحلة السابقة .

المرحلة المرفولوجية الثالثة :

وهي المرحلة المعاصرة التي تلت حركات التحرر العربي والاستقلال التام ومغادرة العناصر الأجنبية ، فشرعت تلك البلدان بالنظر في التنظيم المكاني لمدنها وأقاليمها وفقاً لما يُعرف بالتسوية الاجتماعية *social leveling* المتمثل في تحركات بعض السكان إلى مناطق أخرى ذات أنماط عمرانية وسكنية مختلفة أنشئت لتستوعب الأعداد القادمة من مراكز المدن نفسها والمهاجرين من خارجها ، وكان إنشاء هذه المناطق يجري حول وعلى امتداد المنطقة القديمة والتالية لها وفق معايير جديدة أملتها سرعة حركة السكان من المناطق القديمة إلى الجديدة وكانت أهم هذه المعايير هي البنى التحتية ووسائل النقل التي صارت تدخل

الأحياء الجديدة فكان لابد من تدخل الدولة بشكل يتناسب وديناميكية الحركة الجديدة، فكانت فعاليات التخطيط المحلي (الممثلة بإعداد التصاميم الأساسية للمدن) إضافة إلى عمليات الإسكان الحكومية عبر مشاريع السكن وتوزيع الأراضي وإنشاء المصارف العقارية التي صارت تعطى وفق وثائق صادرة عن مؤسسات التخطيط المحلي مما اخضع حركة المدن ونموها إلى مؤشرات وبدائل النمو الحضري التي توجهها التصاميم الأساسية للمدن ، هذا إضافة إلى عمليات التجديد الحضري (*renewal urban*) ، التي كانت تمارس على هيكل ووظائف المنطقة المركزية وفق أحد سياسات ذلك التجديد الذي يراعي خصوصية السكان والتطور المطلوب وفي هذه المرحلة بدأت الضواحي تظهر في المدن العربية الإسلامية على غرار مدن العالم الآخر متأثرة بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي سادت تلك الفترة والتي ساهمت في بروز هذه الظاهرة مما أضاف مناطق أخرى إلى بنية المدينة الوظيفية تمثلت بمنطقة - الحوافي الحضرية - والضواحي ، وقد ساهم وجودها في نمو المدينة بثلاث طرق هي الملأ والزحف والقفز ، والتي لا يمكن معالجتها إلا من خلال إعداد التصاميم الأساسية الموجهة لعملية النمو الحضري .

مدينة بنغازي – نشأتها ونموها الحضري :

تعود النشأة الأولى لمدينة بنغازي إلى ما قبل سنة 446ق.م كواحدة من المدن الخمس Pentapolis ، التي اتخذها الإغريق عواصم لهم في ليبيا الشرقية وهي على التوالي قورينا (شحات) ، ثم طوليماس (طلميثة) ، ثم برشي (المرج) ثم أبولونيا (سوسة) ، وأخيراً (يوسيريدس) التي صار أسمها بنغازي لاحقاً عندما أقام بها الولي الصالح (سيدي غازي) منذ عام 1450م الذي توفي ودفن في مقبرة (سيدي خريبيش) ، ولكن بين يوسيريدس وبنغازي كانت المدينة قد اتخذت لنفسها عدة مواضع وتسميات جميعها في نفس الإقليم الذي يضم مدينة بنغازي اليوم , فعندما أنشأت (يوسبريدس) كان موضعها في الانبعاج الفاصل بين سبخة السلماني التي تقع خارج المدينة الحديثة (انظر الخريطة رقم 1) ، وبالتحديد عند الطرف الشمالي لسبخة السلماني الحالية في نفس الموضع الذي تحتله مقبرة (سيدي عبيد الإسلامية)* ؛ حيث يلوح للمسافر من بنغازي نحو توكرة (العقورية) عندما يجتاز بوابات المقبرة موقع تلك الربوة (آخر جزء أضيف للمقبرة) المكونة

* سيدي عبيد الفيتوري الذي كان شيخاً للطريقة العروسية في برقة .

من عدة طبقات من الأسوار المبنية من الحجر والطوب التي تمثل أسوار المدينة القديمة .

إن اختيار موضع المدينة هذا يعود إلى أن سبخة السلماني كانت عبارة عن بحيرة يكفي عمقها لاستقبال المراكب الشراعية الصغيرة المستعملة آنذاك , وإن هذه البحيرة تتصل بالبحر (عند ميناء بنغازي الحالي) وكأنها هلال مائي يحيط بموضع المدينة من الشمال الشرقي حتى جنوبها الغربي عند نقطة الاتصال بالبحر , ولكن يبدو أن هذا الاتصال أقفل فيما بعد تدريجياً جراء تكوين حاجز رملي لم يتكامل تكوينه الكلي إلا في القرن التاسع عشر عندما مد الأتراك طريقاً جديداً يصل بين موقع المدينة الحديثة ومنطقة البركة[1] , فتعرضت البحيرة بين القرن الثالث (ق.م) والقرن التاسع عشر (ميلادي) إلى جفاف تدريجي حولها إلى مسطحات ملحية ظلت قائمة مدة طويلة قبل أن تنتقل المدينة (عام 247 ق.م) إلى موقع أكثر قرباً من البحر عند ذلك النتوء الذي كان يفصل بين البحر والبحيرة على بعد ميلين من موضع بوسبريدس التي كانت تقع في خاصرة البحيرة التي صارت الرواسب تتجمع فيها وتحول دون استخدامها كميناء للزوارق ومراكب الشحن مما جعل سكانها ينتقلون إلى الموضع الجديد للمدينة الذي لم تكتف الملكة (برنيتش) بخلع اسمها عليها ، بل قامت بتحصينها حيث كشفت أعمال التطوير العمراني الحديثة عن بقايا أثرية هامة في ذلك الموضع أهمها بقايا بنيان كان يشكل أساس القلعة التركية وبعض القطع الحجرية المنحوتة التي استخدمت في بناء المنازل التي أقيمت حينها عند الربوة والتي كانت تقع على الشاطئ قرب مكان المنارة الحالية ، لكن الآثار الكثيرة لمدينة برنيتش عثر عليها في الأحياء التي أقامها الطليان بعد الاحتلال وخاصة على جانبي شارع روما (سابقاً) عمر المختار (حالياً) ففي عام 1932م أزيلت مقبرة إسلامية قديمة كانت تجاور هذا الشارع فظهرت الأسوار التي كانت تحيط بالمدينة المحصنة آنذاك وبعض الأرضيات المرصعة بالفسيفساء وخاصة تحت موضع العمارة التي كانت تعرف باسم (بنك التوفير) التي شغلها لاحقاً بنك مصر ، وعلى الجانب الآخر من الشارع وبالتحديد تحت عمارة التأمين التي تم بناؤها عام 1940م[1] تم الكشف عن أرضية كاملة مزينة بالفسيفساء وسط مبنى ذو شكل هندسي ، أما الأسوار الأخرى فقد عثر عليها عام 1954م أثناء بناء العمارة المجاورة لمقبرة سيدي حسين في اتجاه

---

(1) آر. جي تشايلد (تاريخ مدينة بنغازي) ترجمة صالح جبريل , 1962م , ليبيا بنغازي ، ص9 .

(2) أر – جي تشايلد – مصدر سابق - ص22.

الجنوب الشرقي في الموضع الذي كان يمثل المقبرة الرئيسية لمدينة برنيتش حيث عثر على العديد من القبور وآثار فخارية وتماثيل وأواني منزلية ، فإذا كانت هذه الآثار تعود إلى العهد الإغريقي ، فمن المؤكد أن العهد الروماني الذي بدأ 75 . ق .م قد ترك في مدينة برنيتش بعض الآثار العمرانية في أماكن ربما تجاوزت الحدود التي رسمتها لها الملكة إلا أنها لم تجعل من المدينة بذلك الأتساع الذي يميزها عما كانت عليه في عصر الأغريق أسوة بباقي مدن برقة، إضافة إلى التدمير الذي سببته لها ثورة اليهود بين عامي (115-116م) تلك الثورة التي سبّبت مذابح وتدميرات كثيرة في مدن برقة ومنها مدينة برنيتش ولم تحض بالإصلاحات التي أقامها (الإمبراطور هادريان) الذي ركز جُلّ أعماله العمرانية على مدينة هادريانوبولوس (دريانة حالياً) رغم أن هذه المدينة ليس لها ميناء كما هو الحال في برنيتش التي ظلت مزدهرة إلى نهاية العهد الروماني لتحظى باهتمام (الإمبراطور البيزنطي جوستينيان) الذي أعاد بناء أسوارها , ولم تنسلخ هذه المدينة عن معالمها الرومانية والبيزنطية إلا بعد الفتح الإسلامي بقيادة عمر بن العاص عام (643م) ولتصبح مأهولة بالسكان الأقباط تحت الحكم العربي الإسلامي قبل أن تندثر نهاية القرن العاشر بعد الميلاد لتصبح أكوام من الخراب إلى درجة أن الجغرافي (البكري) لم يشر أبداً إلى مدينة برنيق في حين أكثر من ذكر مدينتي برقة (المرج) وإجدابيا وأنهما من المراكز الهامة في العهد الفاطمي , وكذلك الإدريسي في النصف الأول من القرن الثاني عشر ولكن مع مطلع القرن الثالث عشر بدأ أسم (برنيق) يرد على لسان البحارة الأوربيين , وأصبح وجودها واضحاً عندما صار التجار الطرابلسيون يتعاملون مع مدينة درنة والمراكز الساحلية الأخرى وصار سكان مدن تاجوراء وزليتن ومسلاته يستقرون في المكان القديم الذي تم إعادة بناؤه عام 1450م , ثم قام المستوطنون الجدد الذين نزحوا من مصراتة بطرد هؤلاء السكان حتى صارت المدينة مقسومة إلى طرفين أحدها يعرف (بحي فكرون) والآخر (حي دغيم) ضمن مدينة (برنيق) التي لم يتغير أسمها إلا عندما استبدل تدريجياً باسم (مرسى بن غازي) الذي ظهر أسمه لأول مرة عام 1579م عندما ظهر الاسم على الخريطة التي رسمها العالم (علي بن أحمد الشريف) فيما لم يعرف أي شيء عن ابن غازي نفسه عدى قبره الموجود في مقبرة سيدي خريبيش الإسلامية القديمة , وليشاع اسم (بنغازي) على مدينة برنيق التي ظلت على حالها حتى احتلال برقة من قبل العثمانيين عام 1638م حيث جرى يومها أن سخّر القائد العثماني حوالي 300 أسير مسيحي لبناء قلعة مدينة بنغازي التي تركت فيها الحامية العسكرية تحت إشراف (باي بنغازي) حتى مجيء القرمانليين عام 1711 الذين اتخذوا من قلعة بنغازي مقراً لهم والتي

تمثل بقاياها أول موروث حضاري ضمته التصاميم الأساسية الجديدة لمدينة بنغازي ، وكان الوصف العمراني لهذه القلعة وباقي أجزاء المدينة ، وقد جاء في الخريطة القيمة التي أعدها الأخوين بيتشي عام 1821م الذين ذكروا بأن سكان المدينة يومها كان حوالي 2000 نسمة ، وكان نطاق المباني حينها محصوراً في المساحة التي يحيط بها البحر وشارع عمر بن العاص ومقبرة سيدي خريبيش وسيدي الشريف , وهي نفس المدينة التي قامت عليها برنيتش القديمة .

المراحل المرفولوجية لمدينة بنغازي وتحديد الموروث المعماري :

إذا كان تحديد المراحل المرفولوجية للمدن العربية الإسلامية يبنى على أساس ذلك التميز المحدد بين المراحل وفق نمط البيئة والموروث المعماري, فإن الموروث المعماري نفسه يحدد على أساس التميز اللغوي والمعنوي بين الآثار والتراث ؛ فالآثار : هي مخلفات الماضي مما صنعته يد الإنسان ، أو أنتجه فكره على مر العصور ، كالمباني ، والفنون ، والمعتقدات ، والأساطير ، والملاحم ، والقصص ، والأشعار .

أما التراث فيعني : تركة الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة التي صارت تشكل معطيات متداولة يتناقلها جيل عن جيل بل وصارت الأجيال اللاحقة تتمسك بها ولا تتركها للنسيان كما هي المخلفات الأثرية [1]، لذلك فإن التراث يمكن أن يعني الحضارة civilization المتوارثة عن الأجيال بكافة آفاقها المادية والمعنوية ، وكذلك ممكن أن يعني التراث الثقافة Culture ، التي صارت تميز الأمم وتمنحها سماتها الذاتية ومن هنا فإن أي محاولة لتتبع الموروث المعماري لمدينة بنغازي الحالية لابد أن يبدأ بتلك المباني التي أنجزها العثمانيون ، والتي لا زالت معالمها قائمة ابتداء من تحديد بناء القلعة عام 1835 ، وتلك المباني الإسلامية التي تم بناؤها عام 1840م ، والتي لا زالت بقاياها شاخصة لحد الآن في أنحاء مختلفة من الرقعة التي شغلتها مدينة برنيتش الإغريقية أو برنيق الرومانية أو بنغازي الإسلامية ، إذ إن رحالة القرن التاسع عشر الذين وصفوا مدينة بنغازي ذكروا شيئاً قليلاً عن مساجد المدينة التي يمثل أقدمها الجامع الكبير (المسجد العتيق- أو مسجد قلاز) ، الذي يعود بناؤه إلى أوائل القرن السادس ؛ حيث بناه السميع القاضي ، إلا أن المتصرف التركي طاهر باشا قام بتجديده نهاية القرن التاسع

(1) أبو الصوف ، بهنام (ظلال الوادي العريق) الموسوعة الصغيرة – وزارة الثقافةالعراقية العدد 378 في 1992م - ص8 .

عشر ، فيما قام الإيطاليون عام 1912م بإعادة ترميم وتجديد الجامع المجاور لـه ، الذي أصبح يعرف أيضاً باسم الجامع العتيق ، ولذلك فإن هذا المسجد يمثل اليوم أول مباني الموروث المعماري الذي تضمّه ثنايا مدينة بنغازي ، إضافة إلى المساجد الأخرى كجامع العقيب وجامع الشيباني والدراوي ، إضافة إلى الجامع الكبير الذي يعرف ، كما قلنا بالجامع العتيق ، وجميعها حظيت بتعديلات على مبانيها في نهاية القرن التاسع عشر ، وأهلت من جديد لتؤدي مهام دينية . إنّ جميع هذه المعالم الموروثة كانت يومها (كما يصفها جيمس هاملتون عام 1850[2]) تقع ضمن المنطقة السكنية للمدينة التي عادت للاحتلال التركي عام 1835 بعد سقوط أسرة القرمانلي وكانت تضم ما يقارب من 1200 منزلاً تأوي ما يزيد على 10 آلاف نسمة ، وكانت هذه المنازل بسيطة ومتلاصقة موزعة على جانبي الطرق الضيقة الملتوية أحياناً ، كما كانت في عهدها السابق عدى تلك التعديلات المعمارية التي جعلت من تلك المنازل ذات طوابق عليا ومساحتها مرصوفة .

وفي عام 1842م تمّ إعادة بناء القلعة على نفس الطراز القديم وتم طلاؤها باللون الأبيض ، وفي تلك الفترة حدث (التطور المرفولوجي الأول)عندما قام الأتراك بإنشاء ضاحية جديدة للمدينة القديمة ، وهي (ضاحية البركة) التي تمّ ربطها بمدينة بنغازي القديمة بواسطة طريق مرتفع شكّل وجود الحاجز الرملي الذي صار يفصل سبخة السلماني عن الميناء القديم ، وهو اليوم شارع (جمال عبد الناصر) ، وفي تلك الفترة ظهرت بعض القرى ، التي أخذت تنتشر حول مقابر سيدي حسين وسيدي داود لاستيطان سكان مدينة بنغازي الجدد الذين أوصلوا تعدادها عام 1881 إلى ما يزيد عن (20 ألف نسمة) ، وقد أقيمت الثكنات العسكرية في منطقة البركة وقصر الحاكم والمستشفى العسكري بدلاً من المباني المكتضة في القلعة القديمة عند الميناء ، وكذلك تمّ تأسيس حديقة عامة ولا زالت بقايا تلك الأبنية موجودة في منطقة البركة * .

ومن هنا فإن أهم موروث خلفته هذه المرحلة يتمثل اليوم بالحارات السكنية التي تمتد أزقتها من شارع عمر بن العاص حالياً (شارع الملكة via Rgina) جنوباً حتى ميدان البلدية في الوسط الذي كان يضم مبنى داراً للبلدية ، وكان مشيداً من ثلاثة طوابق وأعاد الإيطاليون بناءه بعمارة أكبر حجماً لتظل دار البلدية في العهد الملكي ، واليوم هي مقر مؤتمر مدينة بنغازي الأساسي وبجوارها الجامع

(2) آر – جي تشايك – مصدر سابق - ص 32 .
* الباحث ، زيارة ميدانية للمنطقة .

القديم ثم شارع السوق الرئيسي (شارع الظلام أو سوق الجريد اليوم) الذي يمتد عمودياً على شوارع وأزقة المحلة الأولى جنوباً لتبدأ من الجهة الأخرى أزقة ومباني المحلة الثانية شمالاً حتى تصل إلى الشارع الذي يفصل اليوم بين المستشفى وتلك المحلة .

ولذلك فإن المنطقة التي تضم ميدان الحرية بمؤسساته وحدائقه وبيوت حاراته هي أهم موروث معماري لمدينة بنغازي في مرحلتها المرفولوجية الأولى ، والتي لا زالت باقية منذ تلك المرحلة رغم ما شهدته من مباني وهياكل عمرانية في العهد الطلياني الذي يمثل المرحلة المرفولوجية الثانية لمدينة بنغازي .

الموروث المعماري والتخطيطي للمرحلة المرفولوجية الثانية في بنغازي :

ـ فترة الاحتلال الإيطالي من (1911 – 1940) :

تبدأ هذه المرحلة بتاريخ القرار الذي اتخذته إيطاليا بغزو ليبيا وتحويلها إلى مستعمرة إيطالية ، وكان أول تغيير أصاب معالم المدينة هو ذلك الهدم الذي أحدثته مدافع الغزاة في منارة الجامع الكبير (العتيق) والهدم التدريجي للقلعة التركية القديمة التي لم يعدّ لها أي دور أمني ، بل على العكس بدأت أول المعالم البنائية لفترة الطليان ببناء الأسوار الدفاعية التي لم تشهدها المدينة منذ العهد البيزنطي وقد بنيت من الأحجار التي وصل ارتفاعها إلى 15 قدماً وصارت تحيط بالمدينة إلى بعد 4 كم من مركزها لتمنع دخول القادمين إلى المدينة إلا من خمس بوابات ظلت معالمها موجودة إلى فترة متأخرة غير أن الطليان عادوا وهدموا تلك الأسوار ؛ لأنها صارت تتعارض وتطوير المدينة [1], وفي تلك الفترة شهدت المدينة أهم الأبنية التي لا زالت تمثل موروثاً معمارياً فاعلاً في هيكل المدينة المعماري ونسيجها الحضري , وهي مجموعة مباني شيدها الطليان على طول شاطئ البحر من الميناء القديم عند جليانا ، وحتى شواطئ الصابري أهمها مبنى الجمارك شمالاً حتى مبنى الكاتدرائية ذات القبتين ، وتلك المباني عند المناطق الخضراء التي صارت حدائق البلدية (صورة 1) ، وصار مكانها وسط المنطقة التي تمثل امتداد الشارع الذي بناه الأتراك ليصل إلى البركة (شارع جمال عبدالناصر اليوم " صورة 2 ") الذي صارت مقدمته موقع الميدان الرئيسي المتقدم للمدينة وعلى جانبيه بدأت العمارات الضخمة تظهر ، وصار أغلبها اليوم موروثاً معمارياً فاعلاً للمدينة ، أهمها قصر الحاكم الذي صار لاحقاً (قصر المنار

---

(1) تشايلد ، مصدر سابق ، ص35 .

للملك الليبي "صورة 3") ثم الجامعة الليبية لاحقاً , وكذلك عمارة المسرح وعمارة مبنى البرلمان الذي صار مقراً للقيادة الفاشستية ، وبعض المباني التي هدّمت أثناء الحرب العالمية الثانية (كبناية قصر الأعيان وبناية هوتيل إيطاليا) ، أما أهم المعالم المعمارية الدينية ، فهي الكاتدرائية الفخمة ذات القبتين التي بقيت لا تؤدي اليوم أية وظيفة تذكر ، وتمتد هذه المباني حتى تصل منطقة تقاطع شارع جمال مع شارع عمر بن العاص لتبدأ عندها الأجزاء الجديدة للمنطقة الثانية من المرحلة المرفولوجية المتمثلة بالمناطق المحيطة بمبنى السفارة الإيطالية على الجهة الثانية لشارع عمرو بن العاص التي تماسكت في تشكيلها ، ونهاية المرحلة الأولى سوى أن طرزها المعمارية كانت ذات عناصر طليانية بالنسبة للمباني العامة وعربية بالنسبة للمساكن ، وتضاف إلى كل ذلك أرصفة مدينة بنغازي الحالية التي هي ثمرة الأعمال الأولى للترميم الذي بدأه الطليان في تلك الفترة ليكون الوسيلة الفعالة لربط المدينة بباقي أجزاء البلاد , كذلك شهد عام 1937م بزوغاً فعالاً لاستعمالات النقل بإقامة الطريق المعبد الذي صار يصل إلى إجدابيا جنوباً ودرنة شرقاً ، والذي تكلل بمد الطريق الساحلي الذي صار يصل الحدود المصرية شرقاً والتونسية غرباً ، وكذلك من المعالم الموروثة لاستعمالات النقل هو امتدادات سكك النقل بين سلوق وبنغازي من جهة ، وبينها والمرج من جهة أخرى حيث لا زالت بقايا سكة القطار بين أجزاء الخطين .

وهكذا استمرت معطيات المرحلة المرفولوجية الثانية لتنتهي بقيام الحرب العالمية الثانية (1940 – 1945) وخلالها كانت مدينة بنغازي تبدو على أنها مكونة من قسمين متميزين هما الحي العربي القديم الذي يتوسط ميدان البلدية ويضم بيوتها الصغيرة على جانبي الأزقة الضيقة والحي الأوربي الذي يمتد إلى غرب المدينة العربية ، والذي كان يضم المباني الفخمة والعمارات الكبيرة من بينها الفنادق الراقية التي كانت تأوي الزوار الأوربيين فيما قُدر عدد السكان آنذاك بنحو (50) ألف نسمة ثلثين من العرب والثلث الآخر من الإيطاليين مع قلة من اليهود .

وكان يمكن للمدينة أن تتوسع أكثر من هذا لولا ظروف الحرب العالمية الثانية التي دمرت معظم مباني المدينة الكبيرة وأرصفة مينائها ليدخل الجيش البريطاني عام 1943 ويستمر وجوده فيها حتى عام 1951[1]؛ حيث استقلت بعدها ليبيا ، وبدأ عصر المدينة العربي الحديث .

---

[1] . تشايلد ، مصدر سابق ، ص 38 .

ـ المرحلة المرفولوجية الثالثة لمدينة بنغازي منذ عام 1951 حتى إعداد المخططات العامة للمدينة :

وهي المرحلة التي تلت إعلان ليبيا استقلالها عام 1951 عندما شرعت الحكومة الملكية بإعادة إعمار المدن التي خربتها الحرب ، فكانت مدينتا طرابلس وبنغازي على رأس تلك المدن ؛ حيث جرى استقبال شركات الإعمار الأجنبية التي وضعت الخطط لإعادة إعمار أرصفة الميناء البحري لبنغازي وإعادة ترميم الأبنية المهدمة بالمدينة ، وكان أولها قصر الحاكم الطلياني الذي صار قصراً للملك قبل أن ينتقل إلى مدينة البيضاء ويتركه نواة للجامعة الليبية , ثم شرعت تلك الشركات بوضع التصاميم الأساسية لمدينة بنغازي ، وكان أولها من بداية الستينيات وآخرها المخطط الشامل لحاضرة بنغازي الذي أعدته مؤسسة دوكسيادس عام 1989 ليغطيّ تطويرات مدينة بنغازي وحاجتها إلى المباني التي مثلت وظائفها معظم استعمالات الأرض الحضرية حتى ما بعد عام 2000 والتي يصورها شكل المخطط (رقم 1) الذي يصف متطلبات المدينة وفق معطياتها السكانية والاقتصادية والعمرانية , وقد تجلت روعة ذلك التصميم بقدرته الناجحة على ضم الموروث العمراني المتمثل إضافة إلى بعض معالم المرحلة الأولى أغلب ما خلفته المرحلة الثانية من موروث معماري عربي وأجنبي ، والذي تمثله منطقة المدينة القديمة الممتدة من الميناء وشاطئ البحر غرباً حتى شارع الفاصل عند السوق البلدي شرقاً ، ومن شارع عمر بن العاص جنوباً حتى الشارع الفاصل بين منطقة الصابري وقلب المدينة شمالاً .

ـ أهمية الموروث العمراني عبر مخططات مدينة بنغازي :

لقد صار واضحاً أن التتبّع التاريخي لنشأة مدينة بنغازي وتشكيلاتها المرفولوجية يقودنا إلى إمكانية تحديد الموروث المعماري الذي نجده في المباني والشواخص التي تعود إلى نهاية المرحلة المرفولوجية الأولى "عهد الأتراك " وتلك المباني التي تعود إلى المرحلة المرفولوجية الثانية "عهد الطليان" ، فإذا ما حاولنا تحديد مساحة استعمالات الأرض خلال تلك المرحلتين الممتدّة عبر القرنين التاسع عشر والعشرين التي تشغلها المناطق السكنية القديمة بشقيها العربي الممتد من شارع عمر بن العاص وحتى المستشفى الجمهوري ، ومن البحر حتى الشارع الفاصل عند السوق البلدي رغم ما ضمته تلك المناطق من مباني في عهد الطليان ، والتي تجمّعت على جانبي شارع روما " شارع عمر المختار حالياً " وميدان البلدية التي لازالت هياكلها المعمارية تحمل عناصر التصميم والتنفيذ

الطلياني إضافة إلى المنطقة التي أنشأها الطليان لتضم إلى المركز القديم خلال المرحلة المرفولوجية الثانية ، والتي أبرز معالمها اليوم المبنى الذي تشغله القنصلية الإيطالية وما حولها غرباً وصولاً إلى ميدان الشجرة "صورة 4" ثم مباني شارع جمال ابتداءً من هذا الميدان حتى البحر - رغم أن أغلب المباني هدّمتها نيران الحرب وأعيد تشكيلها - (لتعج بمرافق المراكز الإدارية وفق معطيات المرحلة المعاصرة) فإن تلك المنطقة وما تحمله من مباني موروثة من المرحلتين المرفولوجية الأولى والثانية ضمن هيكل النسيج الحضري للمركز القديم باتت تُشكل مساحة لا يُستهان بها من أصل مساحة التصميم الأساسي للمدينة " مخطط عام 2000 والمخططات الملحقة به" (شكل1)[1] ؛ حيث تشغل مساحة 638 هكتار أي ما نسبته 3.5% من أصل مساحة التصميم البالغة 9047 هكتار .

أما مساحة الأبنية الموروثة التي (حظيت بسياسات التجديد الحضري) التي أنجزتها فعاليات المخطط العام للمدينة فتبلغ حوالي 520 هكتاراً ، أي ما نسبته 80% من أصل المساحة المخصصة للهياكل العمرانية لتلك المنطقة ، مما يدل على قدرة التصميم الأساسي (اللمخطط العام للمدينة) على الأستيعاب الفعال للأنماط المعمارية (العربية والطليانية) ، التي أفرزتها المرحلتين المرفولوجيتين الأولى والثانية وإمكانية مزج هذا الموروث ضمن حركة التطور العمراني التي استهدفتها المخططات العامة للمدينة والتي جعلت مساحة المدينة تصل إلى ما يقرب من 10 آلاف هكتار ، بل وإلى تلك القدرة التي حققت ذلك التعايش بين معطيات وعناصر المرحلة القديمة والحديثة وبطريقة ضمنت فاعلية التصميم للمدينة كي يشكل إطاراً عملياً لتفاعل وحدتي الزمان والمكان الذين عاشتهما مدينة بنغازي ، وما كان ذلك ليحصل إلا بفضل سياسات المخطط العام للمدينة التي أثبتت صلاحيتها لتوجيه نمو المدينة بالطريقة التي استوعبت المتغيرات الحضارية عبر مسيرة تلك المدينة .

(1) دوكسيادس ، التقرير النهائي للمخطط الشامل لحاضرة بنغازي – الجزء الثاني - 1989م - ص 137 .

ـ سياسات المخططات العامة لمدينة بنغازي للحفاظ على الموروث المعماري :

لقد اتبعت المؤسسات ودور الخبرة التي استقدمت لعمل المخططات العامة لمدينة بنغازي بمرافقة الكادر الليبي الوطني عدة سياسات حضرية من أجل الإبقاء على الموروث العمراني ضمن النسيج الحضري لتطوير مدينة بنغازي أهمها :

أولاً ـ اتباع سياسة الحفاظ (conservation):

إن ما نعنيه بالحفاظ هو حماية تستخدم في مناطق مهمة نسبة إلى وظيفتها أو قيمتها التاريخية والحضارية والمعمارية وفيها يحتفظ بالمباني بحالة عمرانية جيدة ، أي أن الحفاظ لا يعني بالضرورة المحافظة على المنطقة بأكملها وإنما اختيار عدد معين من المباني لقيمتها التاريخية أو المعمارية ، مما يجعل هذه الأبنية تتفاعل مع النسيج الحضري ككل ضامناً لها الانتعاش من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية وتبقى حيّة ضمن النسيج الحضري *urban fabric* .

وهنا يمكن توضيح أهم طرق الحفاظ على الأبنية القيمة التراثية في بنغازي بما يلي :

1. **الترميم repair** : إن أعمال الترميم تتضمن إضافة جدران للهيكل الأصلي وإصلاح التصدعات والأجزاء المتضررة ، بحيث تكون متناسبة مع الهيكل الأصلي للمبنى من حيث التصميم والمواد الإنشائية ، ومثل تلك الأعمال جرت على بناء الجامع القديم بل وعلى أغلب مباني المحلات السكنية القديمة بما فيها الدور السكنية التي وأن تمسكت بطرزها المعمارية المتماسكة وشوارعها الضيقة ، إلا أنها لا زالت تحمل نفس طابعها الوظيفي .

2. **إعادة البناء reconstraction** : وهي التي تتضمن إكمال الأجزاء المندثرة للمباني التي لا يمكن ترميمها وإعادتها إلى سابق شكلها ورونقها القديم ، ومثل تلك الأعمال جرت على أغلب المباني التي دمرتها الحرب سواء عند الميناء ، وكذلك أغلب مباني الساحل التي أعيد بنائها ، وفق معطيات المرحلة الاقتصادية المعاصرة .

3. **الصيانة preservation** : ويقصد بها أجراء العمليات للازمة لإصلاح ما تصدع أو فقد من البناية التراثية لضمان مقاومتها ضد أسباب التهرؤ المختلفة ،

وفي هذا المجال حظيت كثير من الأبنية التراثية بمدينة بنغازي القديمة كالصيانة التي جرت لقصر المنار ، والمبنى الذي أصبح مقراً لدائرة الجوازات ومبنى الجمارك البحرية وغيرها , وأغلب مباني الميدان وشارع جمال عبدالناصر .

ثانياً - إعادة تأهيل rehabilitation :

وهي سياسة ومبدأ مهم في التجديد الحضري من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي يمكن اعتمادها في المناطق التي تكون الأبنية فيها مهترئة جزئياً وتتصف بنقص في الفضاءات المفتوحة والمناطق الخضراء وعدم التنظيم والازدحام ، أو تلك المباني الدخيلة على الطرز السائدة كالطرز الغربية التي دخلت عليها العناصر الأجنبية التي جلبها المستعمر الغازي ، وهنا تأتي عملية إعادة التأهيل لكي تُبقي على جميع أو أغلب تلك المباني ، وتتم عليها بعض عمليات التحسين فقط من أجل رفع كفاءتها الوظيفية خدمة للسكان والمنطقة ، وفي هذا السياق نخص مخططات بنغازي بأنها تبنت هذا المبدأ عندما أعادت تأهيل جميع مباني شارع روما (عمر المختار) ، الذي يكتظ بالمباني (الإيطالية المعايير) التي تبدأ من عمارة مصرف الأمة وانتهاء بمنى البلدية عند ساحة الميدان التي صارت اليوم مبنى لمؤتمر المدينة الأساسي ، يليها مبنى مديرية الشرطة السياحية وتلك الفضاءات المقوسة التي صار أغلبها محلات ومكاتب تجارية وفوقها الطوابق المتعددة لشتى الأغراض الرسمية والخاصة والعكس صحيح ؛ حيث بقيت بناية الكاتدرائية الفخمة ذات القبتين تحتاج إلى مثل هذا النشاط لتصبح ذات وظيفة يمكن أن تخدم سكان المدينة ، كأن تصبح مكتبة عامة للمدينة .

ثالثاً - إعادة التطوير redevelopment :

وهي سياسة تطبيق على المناطق التي في طريقها إلى التلف والزوال كلياً أو أن تكون تالفة وبحالة مهدمة ، وهنا تشمل هذه العملية الإزالة وإعادة استعمال الأرض وفق مخططات جديدة بعكس استعمال الأرض الإيجابي ونمط التوزيع السكاني . وفي مدينة بنغازي جرت مثل هذه السياسات ولكن كان أغلبها قبل إعداد التصميم الأساسي لمدينة بنغازي حيث جرى إزالة مباني كانت الحرب قد هدمتها ، وتم إنشاء مباني أو استعمالات غيرها كتلك البنايتين التي كانت إحداهما مقر الحاكمية الفاشية " البرلمان سابقاً" عند المجمع الإداري حالياً " والبناية التي كانت تضم مبنى قصر الأعيان وفندق إيطاليا اللتين تعرضتا إلى قصف الحلفاء فتم إزالتهما وتحوير استعمالهما إلى وظائف أخرى .

الخاتمـــة

الاستنتاجات والتوصيات :

من خلال التشخيص المترابط لمكونات هذا البحث في تقصي الموروث العمراني لمدينة بنغازي الذي أفرزته مراحل تطورها المرفولوجي نستطيع أن نستنتج أن السياسات التي اتبعتها المخططات العامة لمدينة بنغازي سواء أكانت سياسات حفاظ أو إعادة تأهيل – أو إعادة تطوير إنما كانت تهدف إلى ما يلي :

أولاً ـ بالنسبة لسياسة الحفاظ إنما جاءت لتحقيق الفوائد التالية :

Benefits of conservation

1- المحافظة على أكبر عدد ممكن من الشواهد التاريخية المرتبطة أساساً بالموروث التراثي النادر في بنغازي .
2- تحسين الحالة البيئية للمدينة وذلك من خلال الاهتمام والحفاظ بمناطق واسعة ذات فوائد كثيرة ـ وتضم أعداداً كبيرة من السكان والمباني .
3- جذب السواح بحيث يلعب الحفاظ دوراً بارزاً في خدمة السياحة في العالم ، وما ستحصل عليه الدولة من موارد بسبب الأموال التي ينفقها السواح لرؤية معالم شكلية ووظيفية تذكرهم بأمجادهم الغابرة .

ثانياً ـ إن مبررات إعادة التأهيل جاءت :

1- انطلاقاً من أن العلاقة الاجتماعية تبقى مصانة عند إعادة التأهيل بعكس إعادة التطوير ، وهذا ما حصل في مدينة بنغازي حيث ظلت ولفترة متأخرة متواصلة الترابط اجتماعياً
2- أن سياسة إعادة التأهيل تعمل على الحفاظ على شخصية البناية والمنطقة ، بينما إعادة التطوير تؤدي إلى تدمير هوية المدينة ، ومن هنا ظلت مدينة بنغازي عربية يسودها طابع البناء الطلياني الذي يمثل فترة الاحتلال لليبيا .
3- أن إعادة التأهيل يتطلب زمناً أقل من إعادة التطوير ، مما سمح بسرعة تطوير مدينة بنغازي .
4- أن إعادة التأهيل أقل كلفة من الناحية الاقتصادية من إعادة التطوير ، وفي ذلك كان انطلاقة أشمل لتطوير مدينة بنغازي .

5- أن إعادة التأهيل تجري دون الحاجة إلى تغيير محل السكن ، بينما التطوير يتطلب ترحيل السكان ، ولذلك بقيت المناطق السكنية القديمة وإلى فترة قريبة تضم سكانها الأصليين .

ثالثاً - أن أهداف إعادة التطوير جاءت لتحقيق ما يلي:

1- إزالة المناطق المهترأة و الملوثة من قلب المدينة ، والتي لم يعد وجودها ضرورياً .
2- التقليل من حدة الفقر وانتعاش مناطق العمل في مراكز المدن .
3- إفساح المجال لتوسيع المؤسسات الحيوية ، مثل توسيع المستشفيات وغيرها من المرافق العامة .
4- جذب صناعات نظيفة إلى مركز المدينة وطرد الصناعات الملوثة كتلك الصناعات الجلدية والمنسوجات النسائية وصناعة المصوغات عند (سوق الحوت وعبر سوق الجريد).
5- تشجيع العوائل ذات الدخل المتوسط للاستمرار بالمعيشة في مركز المدينة وقد حصل ذلك كلياً فترة الستينات والسبعينات ، ولازالت أجزاء من مدينة بنغازي تضم سكانها القدماء .

وهنا لا يمكننا إلا أن نوصي باتباع مزيد من سياسات التجديد الحضري (الحفاظ - وإعادة التأهيل ــ وإعادة التطوير) ؛ لكي يتحقق ما تصبو إليه المخططات الجديدة للمدينة ؛ كونها وسيلة فاعلة وضعت للسيطرة على توجيه نمو مدينة بنغازي المدينة العربية الإسلامية ذات البعد الضارب في أعماق التاريخ .

المصادر والمراجع

1- العاني ، محمد جاسم " أصالة المدينة ... " - إصدار دار علاء الدين - دمشق - 2004 م .
2- الأشعب، خالص " مرفولوجية المدينة" - إصدار كلية الآداب - جامعة بغداد -1983 م .
3- منظمة المدن العربية - وقائع المؤتمر العلمي الأول - 1979م .
4- أبو الصوف ، بهنام " ظلال الوادي العريق" - الموسوعة الصغيرة - العدد 387 - 1992م .
5- دوكسيادس " تقرير المخطط النهائي الشامل لحاضرة بنغازي - الجزء الثاني - 1989م .
6- أر، جي – تشايلد " تاريخ مدينة بنغازي " - ترجمة. صالح جبريل بنغازي – ليبيا - 1962م .
7- الباحث – الزيارات الميدانية لمدينة بنغازي - المنطقة القديمة .

الملحقات :

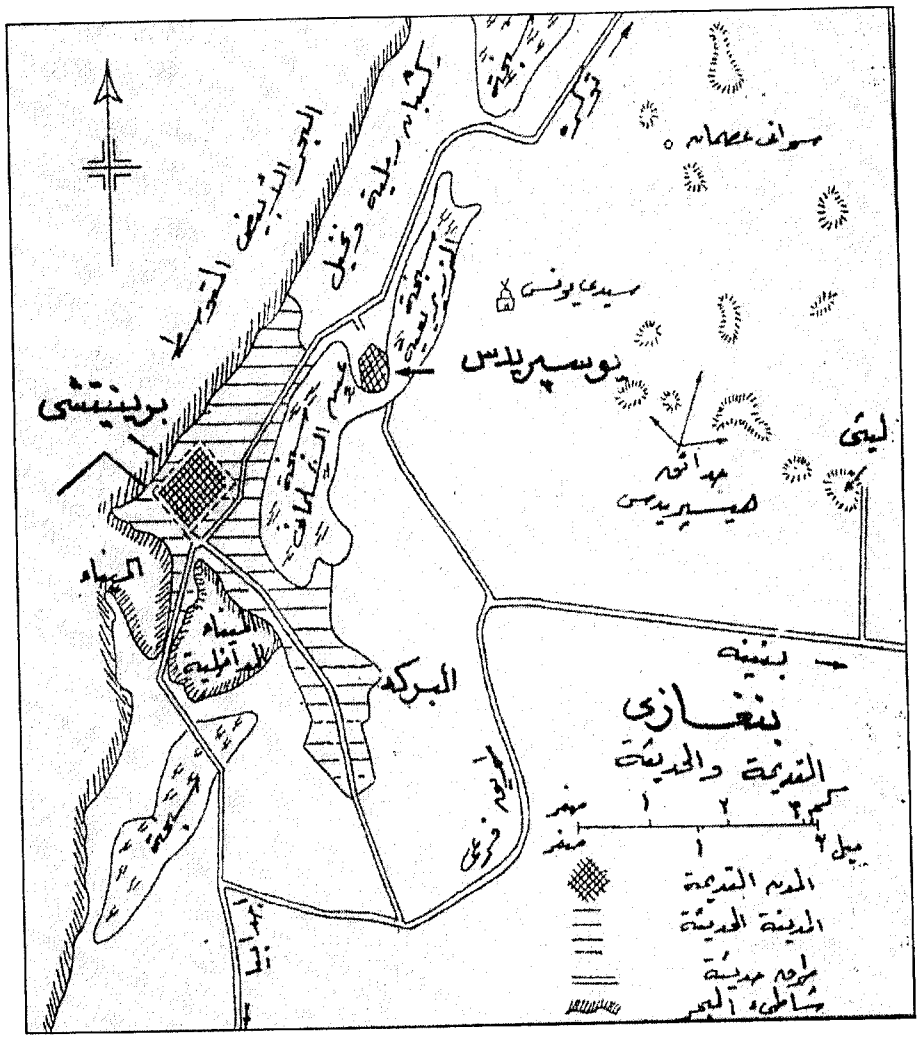

الشكل رقم (1) ريطة تبين الموقع القديم والمقع الحديث لمدينة بنغازي عن : أر . جي نشايلد – تاريخ مدينة بنغازي – ترجمة صالح جبريل بنغازي ليبيا – 1962 – ص م.

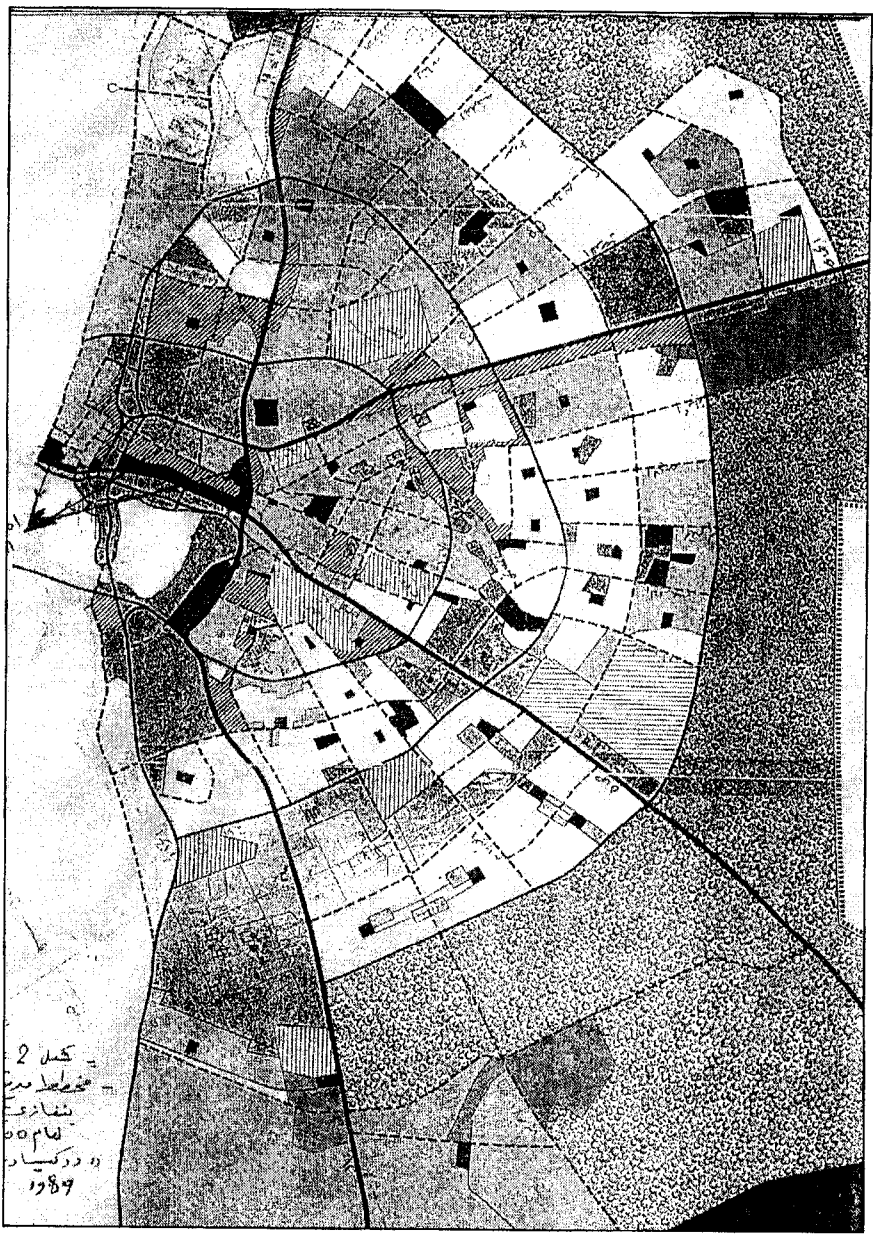

الشكل رقم (2) مخطط مدينة بنغازي لعام 2000 "دركيسارس" 1989

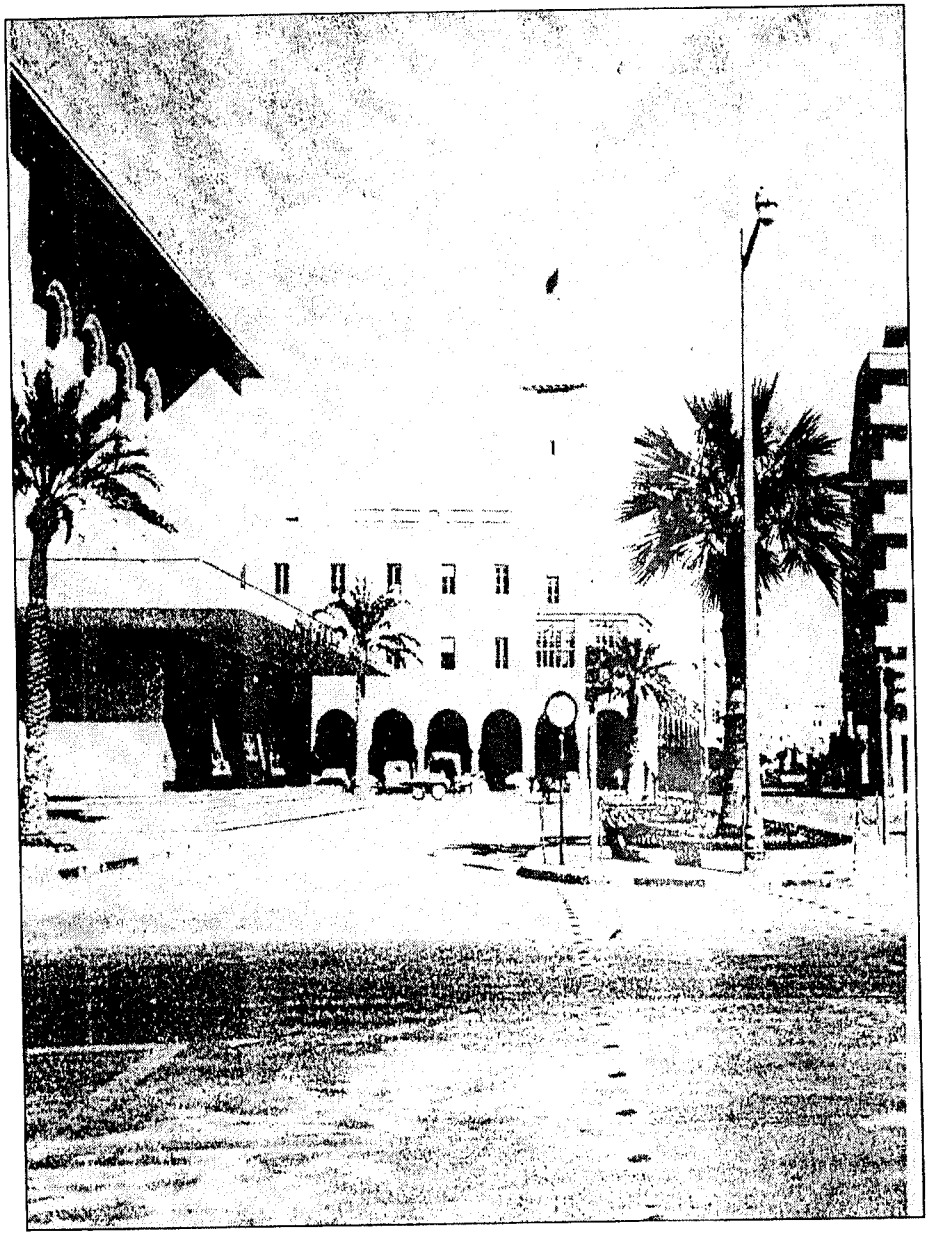

(صورة رقم 1) الميدان الكبير أمام سينما برنيتشي الحديثة (تشايلد) - 1962

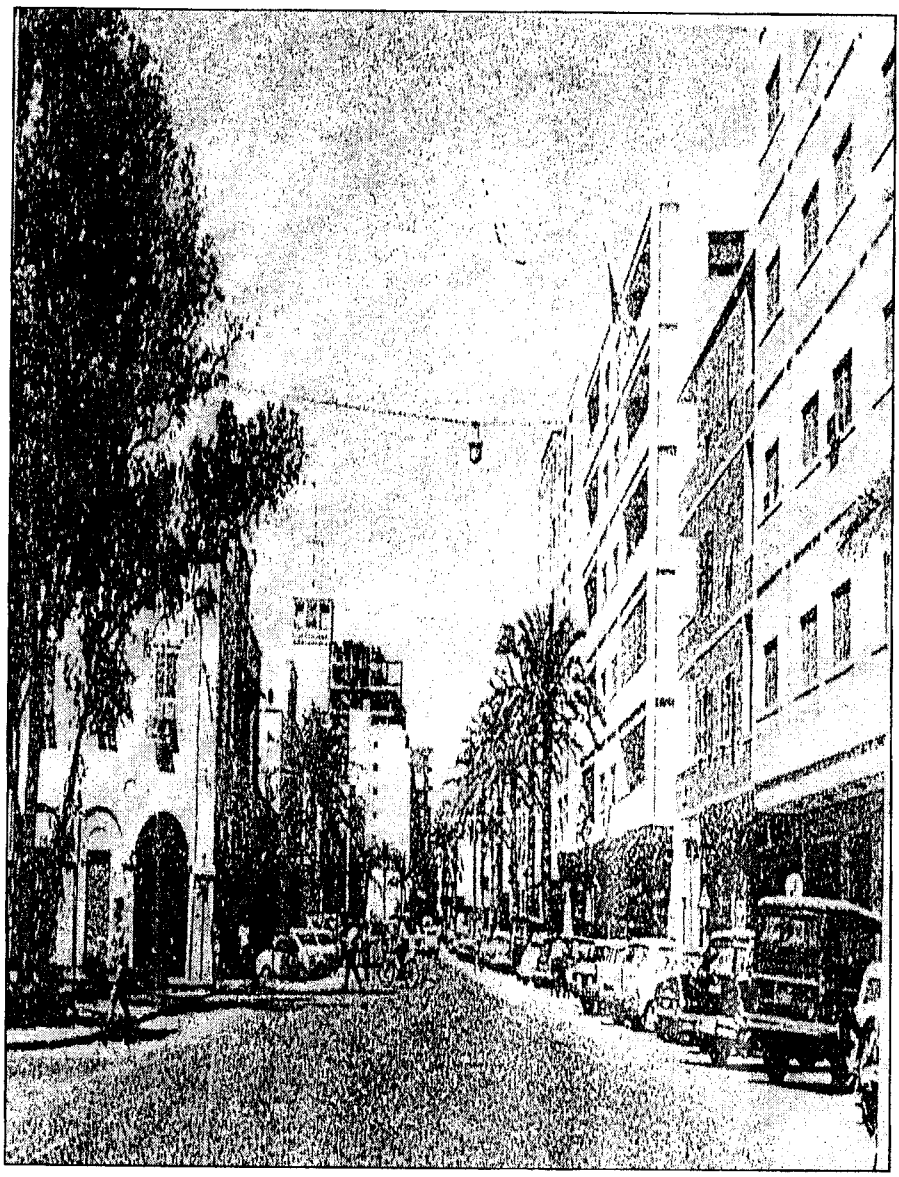

(صورة رقم(2) شارع جمال عبد الناصر
* تشايلد – مصدر سابق

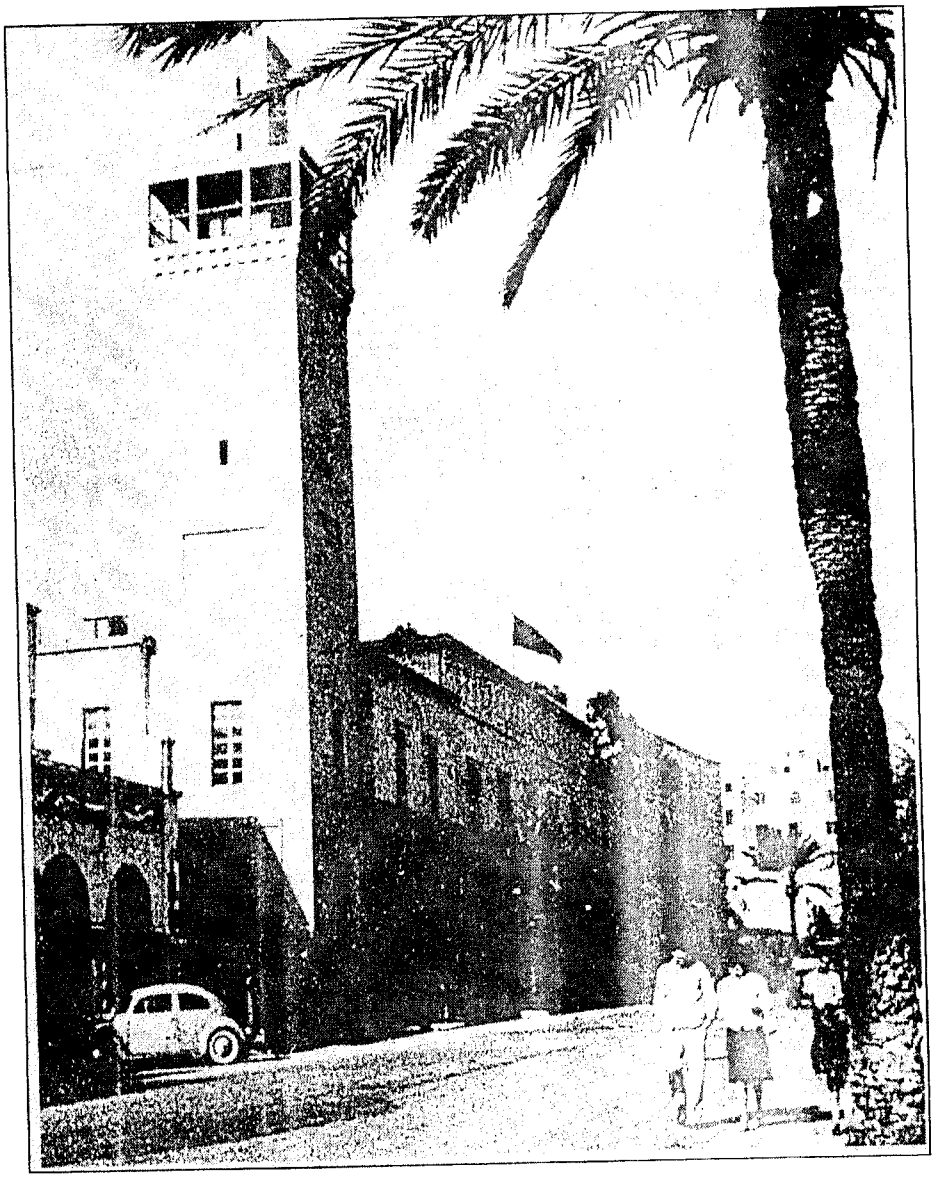

صورة رقم (3) مبنى كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الليبية في بنغازي (قصر المنار سابقا) – تشايلد - 1962

صورة رقم (4) من أجمل المناظر في مدينة بنغازي الجديدة
تشايلد 1962